التراث المادي واللامادي ودوره في خدمة التنمية المستدامة بتوات.

الأستاذ الدكتور مبارك جعفري جامعة أحمد دراية . أدرار

مداخلة ألقيت في الملتقى الدولي الموسوم "الموروث الثقافي والسياحي ودوره في خدمة التنمية المستدامة" والمنظم من طرف مخبر التراث الثقافي واللغوي والأدبي بالجنوب الجزائري، بالتنسيق مع كلية الأدب واللغات، جامعة غرداية يومي الاثنين والثلاثاء 13 و14 ربيع الأول 1441هـ الموافق ل 11 و12 نوفمبر

الملخص: تعد منطقة توات بالجنوب الغربي الجزائري من أغنى المناطق بتراثها المادي واللامادي، هذا التراث الذي صنفت اليونسكو ثلاثة منه كتراث لا مادي إنساني من ضمن سبعة تم تصنيفها في الجزائر وهم: أهليل قورارة، سبوع تيميمون، كيال الماء، وتحوز المنطقة على تراث مادي ولا مادي آخر مرشح للتصنيف كتراث إنساني مثل: الشلالي، ومواسم الزيارات، ورقصة يشو، والبارود، والحضرة، والقصبات والقصور الصحراوية، وخزائن المخطوطات، وآفراق، والزوايا ...وغيرها، وبعيدا عن أهمية هذا التراث الثقافية يمكن استثماره في تحريك عجلة التنمية المحلية وفتح فضاءات اقتصادية لتنشيط السياحة وهو ما سنحاول إبرازه في هذه المداخلة.

الكلمات المفتاحية: توات، التراث المادي واللامادي، أهليل، السبوع، كيال الماء، الزيارات، القصور، التنمية المستدامة.

Tangible and Intangible Heritage and its Role in Sustainable Development in the Region of Touat in the South-west of Algeria

Keywords: Touat, Tangible heritage, Intangible heritage, Ahellil, S'bua, Water measurer, Sacred journeys, Ksur, Sustainable development.

Abstract: The region of Touat in the Southwest of Algeria is one of the richest regions of its tangible and intangible

heritage. Three out of the seven events or activities in Algeria which are classified by the UNESCO as universal heritage of humanity are hosted in this region. The region counts many others events and activities which may join the list of the universal heritage of humanity like: es-Shellali, the sacred journeys, the Yeshu dance, el-Barud, el-Hadra, Castles and Saharan ksur, the traditional khizanat of manuscripts, ez-Zawaya, etc. Beside its cultural importance, this heritage can serve stimulating local development and opening new economic horizons to boost tourism, which is the main concern in this paper.

. تمهيد: تعد منطقة توات بالجنوب الغربي الجزائري من أغنى المناطق بتراثها المادي واللامادي، هذا التراث الذي صنفت اليونسكو ثلاثة منه كتراث لا مادي إنساني من ضمن سبعة تم تصنيفها في الجزائر وهم: أهليل قورارة، وسبوع تيميمون، وكيال الماء، وتحوز المنطقة على تراث مادي ولا مادي آخر مرشح للتصنيف كتراث إنساني مثل: الشلالي، ومواسم الزيارات، ورقصة يشو، والبارود، والحضرة، والقصبات والقصور الصحراوية، وخزائن المخطوطات، وآفراق، والزوايا ...وغيرها، وبعيدا عن أهمية هذا التراث الثقافية يمكن استثماره في تحريك عجلة التنمية المحلية وفتح فضاءات اقتصادية لتنشيط السياحة وهو ما سنحاول إبرازه في هذه المداخلة وفق العناصر الآتية:

. تمهيد.

. لمحة عن التراث اللامادي لمنطقة توات.

. لمحة عن التراث المادي لمنطقة توات.

. أهمية التراث في التنمية المحلية.

. عرض نماذج ومقترحات لدمج التراث في فضاءات التنمية.

. خاتمة.

. لمحة عن التراث اللامادي لمنطقة توات: تتوفر توات على تراث لا مادي غني ومتنوع وقد تم تصنيف ثلاثة منه كتراث لا مادي إنساني والباقي الآخر على لائحة التصنيف وأهمها:

. أهليل قورارة: وهو طابع غنائي تمتاز به منطقة قورارة بتوات، هناك اختلاف بين الباحثين في أصل التسمية حيث يرى البعض أنها جاءت من الهلال وهو أول ثلاث أيام من الشهر، حيث جاء في كتاب "التلخيص في معرفة أسماء الأشياء: والهلال ثلاث، ثم هوَ قمر إلى آخر الشهر، ويُقالُ: أهلَّ الهلالُ، واستهلَّ، على فعلِ ما لمْ يسمَّ فاعلهُ[1]. وقيل من التهليل، أهلوا الهلال وَاستهلوه، رفعوا أصواتهم عند رؤيته[2]. وقيل من الإهلال، لأنهم يكثرون من قول لا إله إلا الله، والإهلال رفع الصَّوت بقول لا إله إلا اللَّه محمد رسول الله[3]، ومنه قوله تعالى: ((وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ)) (البقرة، الآية 173)، ويرى البعض أن الكلمة مركبة من كلمتين وهما (أهل . الليل) لأن أداء هذا النوع من الرقص يكون ليلا وعادة في ضوء القمر[4].

وهناك من يرى أن أصل الكلمة زناتي، وأنها مشتقة من اللفظ (أهْلاَلْ)، وهو المكان الذي تجتمع فيه النسوة للغسيل جماعة، مرددين أغاني جماعية، وهناك مرادفا لهذه الكلمة في منطقة القبائل وهو (أهلالن) وتعني التقاء مجموعة من الشباب في

---

(1) الحسن بن عبد الله أبو هلال بن سهل بن سعيد العسكري: **التَّلخِيص في مَعرفَةِ أسمَاءِ الأشياء**، تحقيق عزة حسن، ط2، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1996م، ص 260.

(2) ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على الخوارزمي: **المغرب في ترتيب المعرب**، دار الكتاب العربي، دمشق، د س ن، ص 506.

(3) نفسه.

(4) عبد الكريم بن خالد: **أهليل تأملات روحية ومسارات تاريخية ضمن التراث القوراري**، ديوان الأهليل نشيد قورارة الأزلي، محافظة المهرجان الثقافي الوطني لأهليل، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2017، ص40.

ليالي رمضان للسمر والغناء قبل الذهاب إلى تناول السحور[5]، ولعل البعد الأمازيغي للمعنى يرجح أن هذه الرقصة كانت معروفة عند زناته قبل مجيء الإسلام، ولكن هنا نسجل ان هذه الرقصة لا توجد في المجتمعات الزناتية خارج المنطقة، لأنه لو كانت موجودة قبل الإسلام يفترض أن تكون في مختلف المناطق التي توجد بها قبيلة زناته. كما أن الاسم القديم للرقصة هو "الازلوان" وهي كلمة محلية مرادفة للأهليل، ولا وجود لها في خارج منطقة قورارة[6].

والأهليل هو عبارة عن قصائد شعرية يغلب عليها الطابع الديني تؤدى بشكل فلكلوري جماعي في منطقة قورارة دون غيرها، حيث يقف الرجال مشكلين حلقة يتوسطها الشاعر أو القوال والمعروف محليا (ابشنيو)، يرافقه عازف الناي (باين تامجا) وضارب الدف (باين قلال) ويؤدى قياما وهو المسمى أهليل، وقد يؤدى جلوسا وهنا يسمى (التقربت).

أعلى النموذج

. احتفالية السبوع بتميمون: (السبوع) هي تظاهرة دينية وثقافية واجتماعية واقتصادية تقام كل سنة بمنطقة تيميمون، احتفالا بمرور أسبوع على ذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يصادف يوم 12 ربيع الأول من كل سنة، ويرتبط السبوع بتيميمون بذكرى الولي الصالح سيد الحاج بلقاسم المولود حوالي 921هـ[9] في بلدة "اوسيف"[10]، والذي درس في مسقط رأسه ثم سافر إلى المغرب أين درس هناك وأخذ الطريقة الجزولية الشاذلية على يد الشيخ علي بن إبراهيم، الذي أذن له بالعودة

---

(5) خديجة بلمبير: **دور التراث اللامادي في الحفاظ على الهوية أهليل نموذجا دراسة سوسيوأنثروبولوجية بمنطقة قورارة بتيميمون أدرار**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأنثروبولوجيا، إشراف الدكتور لعلى بوكميش، قسم العلوم الإجتماعية، جامعة أدرار، 2016 ـ 2017، ص 166.

(6) نفسه: 41.

(9) في رواية أخرى 925هـ.

(10) رشيد بليل: **قصور قورارة واولياءها في المأثور الشفهي والمناقب والاخبار المحلية**، ترجمة رشيد عبد الحميد بورايو، منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ، الجزائر ، العدد3، 2008، ص 146.

لقورارة وتأسيس زاويته التي أصبحت منارة للعلم وإكرام الضيوف[11]، وعرف عن الشيخ أيضا أنه كان شيخ لركب الحج النبوي الشريف بمنطقة قورارة، من أهم المؤلفات التي تركها الشيخ سيد الحاج بلقاسم منظومة في التوحيد، ومنظومة في مدح النبي صلى الله عليه وسليم، ومنظومة في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، وميمية التوسل[12].

تعتبر مناسبة السبوع تظاهرة دينية واجتماعية وثقافية، بالإضافة الى كونها أسبوع اقتصادي بمطقة قورارة، وقد أدرجت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (يونسكو) الزيارة السنوية "سبوع المولد النبوي" بتيميمون ضمن القائمة التمثيلية للتراث الثقافي الإنساني غير المادي وفقا لما أعلنته المنظمة خلال الدورة ال10 للجنة الحكومية الدولية لصون التراث الثقافي غير المادي بالعاصمة الناميبية ويندهوك (**Windhoek**) بحضور ممثلين عن 175 دولة. وهناك روايات كثيرة في تفسير بدايات هذه المناسبة منها:

. أولاً: أن بداية هذا الاحتفال كان على يد الوالي الصالح سيد الحاج بلقاسم الذي كان شغوفا بمحبة المصطفى صلى الله عليه ولهذا قرر استحداث هذه المناسبة ولما استخار الله في ذلك جمع أعيان وعلماء قورارة وأخبرهم بما يريد فأجازوه وفي الضحى كان نائما فرأى الرسول في المنام يقره على ذلك وهو يقول له " اشترط يا أبا قاسم والله هو الوافي" فأخذ الشيخ يدعو قائلاً:

- أنا وأولادي في حرمة الله وحرمتك.
- طلبت الله أن يعطيني قوة لأحملك على كتفي وأطوف بك بين الخلائق يوم أسبوعك.
- أطلب الشفاء لي ولأولادي ولأهل زاويتي ولجميع الحاضرين.

---

(11) عبد الكريم بن خالد: **برنامج منظمة اليونسكو في تصنيف وصون التراث الثقافي الغير مادي تجربة تصنيف تمثيلة اسبوع المولد البنيوي الشريف بمنطقة تيميمون كتراث عالمي غير مادي نموذجا**، مقال غير مطبوع، ص 4.

(12) محمد عبد الرحمن قاسي: **المظاهر الاحتفالية لأسبوع المولد النبوي الشريف بمنطقة قورارة**، مجلة الحقيقة ، العدد 10، 2012، جامعة ادرار ص 173.174

- نطلب الضمانة والحماية لكل الحاضرين.

وبعدها جاء في الرواية أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له: "من لم يقدر أن يأتي إلى بصرة من الذهب فليأتي إليك بصرة من السفوف فإنه يدرك ما يدرك الحاج ولا يفوته إلا الاسم على أن يرث الله الأرض ومن عليها" كما اشترط الشيخ سيد الحاج بلقاسم مع أولاده أن يكونوا خدماً لآل البيت" وكان ذلك في أوائل القرن العاشر للهجرة[13].

. ثانياً: تفيد هذه الرواية أن الشيخ الحاج بلقاسم كان نائما فرأى الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام وقال له: "ستقيم لي حفلا في اليوم السابع لميلادي، وستحضر لي وليمة (مد ونصف من القمح المطحون تقدمها لأهلك والمدعوين والزوار". فقام الشيخ من نومه فرحا واستدعى "بوشامية من بن غازي"، وسيد الحاج بومحمد من تبلكوزة، وقال لهما ما رأى وبعد اجتماع ومشاورة تم الاتفاق على الاحتفال بالسبوع[14].

. ثالثاً: وهي الرواية الأكثر تداولا وشيوعا وتنص على أن سيد الحاج بلقاسم كان في الحج رفقة أصدقائه وعند زيارتهم لقبر المصطفى صلى الله عليه وسلم ألقوا عليه السلام فرد عليهم فاندهشوا لذلك واعتقد كل واحد منهم أن الرد كان على تحيته هو دون أصحابه مما أدى بهم إلى الاختلاف بينهم فقرروا أن يعيد كل واحد منهم السلام على المصطفى بمفرده ولما جاء دور سيد الحاج بالقاسم قال: "السلام عليك يا حبيبي ويا شفيعي يا رسول الله فرد الرسول قائلاً: وعليك السلام يا حبيبي بلقاسم"، ومن هذه الحادثة يقال أن الشيخ سيد الحاج بلقاسم قرر عند عودته إلى بلاده وفي الموسم القادم الاحتفال بذكرى أسبوع المولد النبوي الشريف وأن يكرمه أحسن تكريم إجلالاً واحتراماً له فقام بجمع الطرق الصوفية آنذاك التي كانت تعج بها المنطقة[15].

---

(13) عبد الكريم بن خالد: الرمزية الروحية والاجتماعية والتاريخية للاحتفال بالمولد النبوي الشريف (السبوع) بمنطقة تيمون، ندوة اسبوع المولد النبوي الشريف، مديرة الثقافة ومخبر المخطوطات الجزائرية بأفريقيا، أدرار، 2017، ص 2.

(14) نفسه: ص 3.

(15) نفسه: ص 4.

يبدأ الاحتفال بالسبوع مع حلول شهر ربيع الأنوار في "حي الزرقة" بالقصر العتيق بتيميمون بإقامة زيارة "سيدي محمد او عبد الحي" وهو من سلالة سيدي موسى والمسعود التسفاوتي بقراءة القران المعروفة محليا بـ (الربعية) واقامة الحضرة في دار الزرقة على الطريقة الطيبية والاعلان عن بداية قراءة البردة للبوصيري في اليوم الاول ثم الهمزية وقبل المولد النبوي الشريف بثلاثة أيام تبدا الاحتفالات بإقامة حفلات البارود بحي المنجور العريق وفي يوم 12 ربيع الأول تقام زيارة "لالة حيجة" وهي زوجة سيد الحاج بلقاسم ومن بني عمومته تقول الروايات أنها كانت مرأة صالحة وولية من أولياء الله فأصبحت "لالة حيجة" تبدأ الموسوم بالاحتفال بالمولد النبوي الشريف (يوم 12 ربيع الأول) والشيخ يختمه بإقامة السبوع (يوم 18 ربيع الأول). وفي يوم السبوع يلتقي طوائف من قبائل يحمد وسفيان في موقعة (ات–بالحاج) على شكل مشاحنات فلكورية من الاجل الاستحواذ على حفرة الملعب ثم يلتقوا في النهاية في مظهر تصالحي بقراءة فاتحة عند دار الزواية كأنها دلالة رمزية على التصالح بين قبائل تيميون في زاوية سيد الحاج بلقاسم. مكانة المرأة في هذه المناسبة حيث تمثل (لالة حيجة) صورة ومكانة المرأة في الولاية التي كانت احتكار على الرجل في المجتمعات الصحراوية[16].

. كيال الماء: وهي طريقة توزيع مياه الفقارة والتي تتم بطريقة دقيقة وعادلة وكل ما يرتبط بها من عادات وتقاليد هذا الموروث الذي تتجسد فيه عبقرية الإنسان التواتي الذي تمكن من إبداع طريقة لقياس وتوزيع الماء بسيطة ومعقدة ودقيقة في نفس الوقت، واتخذ قرار التصنيف خلال أشغال الدورة الـ13 للجنة الحكومية المشتركة لصون التراث الثقافي غير المادي لليونسكو التي عقدت في جزر موريس نهاية شهر نوفمبر 2018، وعملية توزيع مياه الفقارة تسمى عند الفلاحين (الكيلة) يشرف عليها شخص مختص وخبير يعرف بالكيال[17] وآلة قياس الماء وتوزيعه لها عدة أسماء

---

(16) نفسه: ص ص 5، 6.

(17) أحمد جعفري: **الفَقَّارَة ... نظام السقي الصحراوي العجيب، مجلة "تراث "** تصدر عن هيئة أبو ظبي للثقافة والإعلام، مدينة العين الإمارات العربية، السنة الحادية عشرة، العدد 131 أغسطس 2010، ص140.

منها: (الشقفة، المشط، الكاسيس، القصرة، السيارة، الحلافة)[18] وهي عبارة عن لوحة نحاسية مستطيلة أو دائرية بها ثقوب عديدة و متدرجة من الأصغر إلى الأكبر. ووحدة القياس تسمى الحبة، وقد يضاف غليها اسم آخر مثل الحبة النحاسية، أو الحبة المصمودية،[19]، وتقسم إلى اربعة وعشرين قراط (ثقوب صغيرة) كل قيراط يقسم إلى أربعة وعشرين قيراط القيراط، وتملك كل فقارة زمام وهو دفتر تدون فيه جميع الملكيات وتوزيع الماء داخل الفقارة، ووضعيتها الأخيرة من حيث حجم الماء ومقدار الزيادة والنقصان.

هذا إلى جانب تراث ثقافي لا مادي آخر غير مصنف مثل:

. الحضرة: وهي رقصة شعبية صوفية يؤديها المرابطون وأصحاب الزوايا، ومعظم القصائد التي تؤدى فيها هي عبارة عن أذكار وابتهالات ومديح نبوي، وتؤدى بوقوف مجموعة من الرجال في صفين متوازيين وبينهما يتنقل العازفون على الدف والمؤدي الذي يؤدي قصائد المديح وهم يكررون رأس المديح واللازمة خلفه[20].

. الزيارات: وهي مواسم سنوية تقام في معظم قصور المنطقة، ترتبط عادة بمناسبة دينية، أو وفاة ولي صالح تسمى بإسمه، وتقام عادة لمدة يوم ونصف يسمى اليوم الأول منها بالميز واليوم الثاني يوم الزيارة، وتفتح فيها المنازل أمام الضيوف وعابري السبيل، وتقام فيها المعارض التجارية، ومختلف الرقصات الشعبية خاصة رقصة البارود، ارتبطت في السنوات الأخيرة بموسم الحصاد بداية من شهر مارس ولغاية شهر ماي أشهرها زيارة الرقاني برقان والتي تقام في الفاتح من شهر ماي من كل سنة، وزيارة المولد بقصر بوعلى وزاوية الشيخ بن عبد الكريم المغيلي وتقام يوم 12 ربيع الأول من كل سنة، وزيارة السبوع والتي تقام بزاوية كنته وتيميمون يوم 18 ربيع الأول وزيارة مول سبع حجات ببودة والتي تقام يوم 19 جوان من كل سنة

---

(18) عربية موساوي: **الفقارة بمنطقة توات وأثرها في حياة المجتمع دراسة تاريخية اثرية**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علم الآثار، إعداد الدكتور عبد العزيز لعرج، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007، ص 132.

(19) نفسه: ص 138.

(20) عاشور سرقة: **الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات**، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 25.

. رقصة البارود: من الرقصات الأكثر انتشارا في توات وهي حكر على الرجال لأنها رقصة قتالية تؤدى بشكل جماعي على شكل حلقة باستخدام الدف (أقلال) والزمارن وتؤدى فيها أشعار من بيت واحد موزون يسمى الصيغة يؤدي شطره مجموعة وتؤدي المجموعة الباقية الشطر الثاني، وغالبا ما تكون الصيغة وليد المناسبة أو اللحظة، وفي الشطر الثاني من الرقص يخف الوزن ويتحول الغناء من البيت إلى المرجوعة، وتنتهي الرقصة بإطلاق البنادق دفعة واحدة بعد إشارة من القائد.

. الطبل: هو رقصة جماعية يؤدى جلوسا من طرف مجموعة من الرجال والنساء في المناسبات والأعياد عادة بعد صلاة العشاء وفي السهرات ويستمر لغاية ساعات متأخرة من الليل، يعرف في تيدكلت بطبل أين بلبال وفي توات الوسطى بالشلالي وفي قورارة (التقاصر)[21]، وفي الطبل يجلس المؤدون على شكل حلقات في مكان عمومي يتوسطهم العازفون سواء للدف أو الناي وهناك الغناي الذي يحفظ القصائد الطويلة والمعروفة بالشلالي وهي قصائد غالبا ما تكون من الغزل العفيف، ويعيد الباقون البيت الأول في كل مرة مع التصفيق باليد لغاية نهاية القصيدة ويبدأ الايقاع بطئ وينتهي سريعا، وبالنسبة لطبل النساء فغنه يؤدى في المنازل ويكون للنساء فقط دون حضور الرجال.

. رقصة قرقابو: من بين الرقصات الشعبية التي تمتاز بها منطقة توات رقصة قرقابو، وتسمى عند البعض بـ "دراني" ومعناه اضرب الدف او ضجيج الايقاع، والاسم قرقابو مأخوذ من اسم الالة الاساسية في الرقصة وهي آلة قرقابو[22]. اختلف الباحثون حول اصل هذه الرقصة، وتاريخ دخولها لمنطقة توات، فهناك من ارجعها الى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم[4] ذلك ان معظم مدائح وابتهالات رقصة قرقابو هي الصلاة على النبي وذكر مآثر الصحابة[23]، ويرجع البعض الاخر اصل

---

(21) بلمبير خديجة: المرجع السابق، ص 160.

(22) حمزة بن الحاج علي: **التراث الثقافي لمنطقة تيديكلت دراسة تاريخية اثرية**، مذكرة ماجيستير، اشراف محمد المصطفى فلاح، معهد الاثار، جامعة الجزائر 2، 2012/2011، ص145.

(23) عزالدين جعفري: **الحضرة الصوفية بمنطقة توات دراسة في طقوسها ونصوصها المصاحبة لها**، مذكرة ماجيستير، اشراف شعيب مقنونيف، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان،2015/2014، ص 85.

الرقصة الى شبه الجزيرة العربية أين وصلت الى هناك عن طريق العبيد الذين قدموا من تلك البقاع، غير ان المرجح هو أن الرقصة من اصول افريقية لأن هناك الكثير من الإشارات والتشابه بين الرقصة وبعض الرقصات الإفريقية، وهناك تمازج كبير بين المنطقة وإفريقيا جنوب الصحراء.

وتؤدى رقصة قرقابو من طرف مجموعة من المؤدين يؤدون الرقصة في شكل حلقة دائرية او على شكل مستقيم او في شكل مستقيمين متوازيين ينظر كل منهما الى الاخر وتبقى كل فرقة وطريقة ادائها، وتضم الفرق مزيج بين الشباب والكهول وعادة ما يكون الشباب يمسكون القراقيب وينشطون على محيط الحلقة التي يمارس فيها اثنين من الكهول على الاقل بعض الطقوس، وينقسم الإداء بين ضارب للدف (الدندون) وماسكين للقرقابو ومداحين ، وتقام رقصة قرقابو في مواسم محددة لدى بعض من الفرق غالبا ما تكون في فصل الصيف حيث تدور انحاء بيوت القصور في عادة تكرر في اغلب قصور المنطقة حيث يقدم لهم صدقة نظير ممارسة طقوسهم في ذلك البيت وقد اشتهرت هذه العادة بتسمية الغرامة او الدكارة[9] كما تؤدى في المناسبات والافراح كقدوم الحجاج او الاعراس[24].

وهناك تراث آخر لا يتسع المكان للتفصيل فيه مثل: رقصة صارة، وزمار بوعلى.

. لمحة عن التراث المادي لمنطقة توات: تضم منطقة توات الكثير من الشواهد والآثار التي يمكن تصنيفها كتراث مادي

لعل من أبرزها:

. القصور: تمثل القصور المكون الأساسي لمنطقة توات، وتوات في الأصل مجموعة من القصور المتناثرة في الصحراء، على امتداد أزيد من سبعمائة كلم، وتأخذ القصور

---

(24) نور الدين حمادو: **رقصة قرقابو بمنطقة توات دراسة في تاريخ الرقصة والطقوس المصاحبة لها**، مداخلة باليوم الدراسي، مداخلة في اليوم الدراسي الموسوم "التراث ودوره في خدمة التنمية"، والمنظم من طرف جمعية سيدي بلال الثقافية بقصر تيطاف بلدية تامست، بالتعاون مع بلدية تامست ومديرية الثقافة ومديرية الشباب والرياضة لولاية أدرار وقسم العلوم الإنسانية جامعة أحمد دراية ـ أدرار، الجمعة 27 إبريل 2018، ص3.

في توات شكلاً مستطيلاً، أو دائرياً، أو مربعاً، وغالباً ما يتم بناؤها فوق الروابي، والأماكن المرتفعة لتكون بعيدة عن السيول والفيضانات، ولتسهيل عملية مراقبتها والدفاع عنها. وتضم الحظيرة الثقافية لتوات اليوم مئات القصور الكثير منها لا يزال مأهولا والباقي عبارة عن أطلال منتشرة في كل مكان شاهدة على ذلك. وفي إحصاء يعود إلى القرن الثامن عشر الميلادي، بلغ عدد قصور توات أكثر من 260قصراً تقريبا[25]، بالرغم أن بعض المصادر ترى أن العدد كان أكبر من ذلك بكثير، حيث يرى مثلاً ابن خلدون: أنه كان بها في القرن الربع عشر ميلادي مائتي قصر في توات، ومائة في تينجورارين[26]. بينما يرى مولاي أحمد الطاهري الإدريسي: أنه كان لليهود فقط حوالي 300 قصر(؟)[27]. ومعظم القصور في توات تحمل أسماء زناتية. وللتعرف أكثر على طبيعة القصور، قمنا بدراسة ميدانية قادتنا لأحدها[28]، ومكنتنا من التعرف على بعض من خصائصها، وتسجيل بعض الملاحظات منها:

أن القصر تم بناءه من الطين والحجارة على شكل مربع، يبلغ طول ضلعه أربعة وثلاثون متراً، و تقدر مساحته، بحوالي ألف ومائة وستة وخمسون متر مربع، محاط بجدار خارجي سميك، يبلغ سمكه في الأسفل واحد متر، ويقل بالأعلى، يبلغ ارتفاعه حوالي ستة أمتار، يحيط به خندق، يبلغ اتساعه بين مترين إلى ثلاثة أمتار، وعمقه بين ثلاثة إلى أربعة أمتار. للقصر مدخل واحد بعرض واحد متر وارتفاع مترين، ويوجد بداخله منازل من غرفتين وغرفة واحدة، يبلغ متوسط طول الغرفة مترين وسبعون سم، وعرضها متر وسبعون سم، ويبلغ ارتفاعها مترين ونصف تقريباً، توجد به كذلك أزقة ضيقة، بعرض تسعين سم، تتوسط القصر ساحة صغيرة،

---

(25) تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من القصور، المطبعة الملكية، الرباط،المغرب،1962 م.

(26) عبد الرحمان ابن خلدون: **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تحقيق خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، 08 أجزاء، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان،2001م، ج7، ص ص76، 77.

(27) مولاي احمد الطاهري الإدريسي: **نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات**، مخطوط، خزانة كوسام، ادرار، الجزائر، ص 94.

(28) الدراسة أجريت على أحد القصور ويعرف بقصر (بركة)، يقع بالقرب من قصر (غرميانو) للجهة الجنوبية، يقال أن ساكنيه كانوا من أشراف تيوريرين، رحلوا عنه إلى موطنهم الحالي، ولا يزال إلى يومنا هذا منتصبا، رغم الظروف الطبيعية وعمل الإنسان، كشاهد على الحضارة التواتية، وهناك أمثله كثيرة تشبهه في كل المنطقة.

ومسجد وفي زواياه الأربعة توجد أبراج للمراقبة، مربعة الشكل، متسعة بالأسفل وتضيق قليلاً بالأعلى، يبلغ متوسط ضلعها مترين وستون سم، وارتفاعها حوالي ثمانية أمتار. وتوجد خارجه المقبرة والبساتين والفقارة.

ومن أشهر القصور الأثرية في توات والتي تشتهر بعمارتها ولا زالت محافظة على نمطها العمراني نجد قصر تماسخت، وقصر مكيد وقصر ملوكة وقصور تمنطيط.

ـ الأهمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للقصر بتوات: تعتبر القصور الركيزة الأساسية للحضارة في توات، والتي يمكن تسميتها بحضارة القصور. و لم يستطع المجتمع التواتي إقامة تجمعات سكانية كبيرة مثل باقي المناطق، بل على العكس من ذلك كان السكان غالبا ما يلجئون إلى الهجرة والترحال، من التجمعات السكانية الكبيرة، ويختطون قصور جديدة، بحثاً عن الماء في المناطق المساعدة على إقامة الفقاقير، والتربة الجيدة الصالحة للزراعة، لأن التربة الصحراوية فقيرة وغير متجددة، و يقل مرددوها، من سنة إلى أخرى. وما يدل على ذلك سكان قصر (انزقمير)، الذي عُدَّ من اَكبر القصور في توات الوسطى في نهاية القرن(13هـ/19م)، بلغ عدد سكانه 1210 نسمة[29].

وشكلت القصور في المنطقة، وحدات سياسية شبه مستقلة، تدير شؤونها بنفسها، وعرفت نظام الجماعة، وهو أشبه بنظام القبيلة، ولكل قصر جماعة تسيره وتسهر على تنظيم الأمور بداخله[30]، وله حدود متعارف عليها، وقوانين خاصة به أحيانا، وغالبا ما تتشكل الجماعة من عشرة رجال، من خيرة رجال القصر، يمثلون كافة القبائل داخله، يقودهم مسئول الجماعة، وتتمتع هذه الأخيرة بسلطة مادية ومعنوية كبيرة.

وفي حالة حدوث نزاع أو مشكلة داخل الحي، تتدخل الجماعة لفض النزاع، وفي حالة عجزها يرفع إلى القاضي الشرعي، أو ما يعرف عند السكان مجازاً (ربي

---

(29) Abderrahmane Selka: **Notice Sur le Touat - Bul - SO - G - D' Alger,** Alger,1922, pp,526 - 527.

(30) Déporter: **La Question, du Touat au Sahara Algérien,** Alger, Fontana, 1891,p23.

والنبي) كناية عن الكتاب والسنة، ويوجد القضاة في الأماكن التي عرفت زوايا مثل (تمنطيط . ملوكة . زاوية كنته...الخ) وكان هؤلاء القضاة يتمتعون بسلطة روحية قوية، تكفل تنفيذ الأحكام التي يصدرونها. كما كان لمقدم الزاوية، وشيوخ الطرق الصوفية، وكبار الشرفاء، وشيوخ القبائل، دور، وسلطة، ونفوذ، داخل المنطقة، ولازالت الكثير من القصور تحافظ على هذا النمط من النظام إلى اليوم.

. الفقارة: رغم أن اليونسكو صنفت كيال الماء كتراث لا مادي إنساني، غير أن هذه الحرفة ترتبط أساسا بالفقارة هذا النظام الفريد من نوعه في السقي والفقارة هي عبارة عن سلسلة مترابطة من الآبار، تأتي من مكان مرتفع ثم تستمر في الانحدار، إلى أن يخرج الماء على السطح، اختلف المؤرخون في سبب تسميتها بهذا الاسم، فقيل أنها مشتقة من الفقر؛ وهو الحفر، فيقال فقرَ المكان أي حفره، وقيل مأخوذة من التفجير، لأن العيون تتفجر بداخلها، فقلبت الجيم قافاً معقودةً، وتحولت إلى التفقير، ومنها جاءت الفقارة، وقيل أخذ اسمها من العمود الفقري لأن آبارها تشبه الفقار في تسلسلها[31].

وهناك اختلاف بين المؤرخين حول تاريخ وصول الفقارة إلى المنطقة، حيث يرى الشيخ سيدي أحمد بن يوسف التنيلاني[32] (ق11هـ/17م) أن نشأتها كانت على يد الإنسان البربري في رحلة البحث عن المياه في الصحراء، بعد الجدب الذي أصاب المنطقة، بعد أن تتبع السيول المنحدرة من الأماكن المرتفعة نحو المنخفضة فصنع قناة ثم بئراً، ثم ربط بعد طول المسافة بئر بأخر إلى أن وضع الفقارة، ويرى أن زناته هم أول من ابتدعوها ولم يسبقهم إليها أحد[33]، ويدعم هذا الطرح المؤرخ ابن خلدون الذي لم يحدد لنا مصدرها، إلا أنه ذكر أنها تختص بتوات ووركلان وريغ، ولا وجود لها في المغرب قاطبة، ووصفها بالغريبة في استنباط الماء، وأبدى

---

(31) محمد باي بلعالم: **الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات**، جزآن ، دار هومه، الجزائر، 2005م، ج1، ص70.

(32) محمد بن عمر بن محمد البوداوي: المخطوط السابق، ص20.

(33) للمزيد حول هذا الموضوع ينظر: مولاي عبد الله سماعيلي: **لمحة عن نشأة الفقارة وتطورها بتوات، مجلة النخلة،** مجلة علمية متنوعة تصدرها مجموعة القروط، ادرار، الجزائر، العدد التجريبي، جويلية 2005، ص 22 وما بعدها.

إعجابه بالطريقة التي يتم بها استخراج الماء الذي يجري على سطح الأرض مثل الأودية، ثم يحدثنا عن كيفية إنجازها. ويستدل البعض الأخر على زناتيتها، بأسماء الفقارات نفسها، والتي معظمها بربرية، كذلك أسماء مكوناتها، وكل ما يرتبط بها، مثل: (أنفاد، الماجن، أمزر. غير أن هناك رأي آخر، يرى أن الفقارة كانت معروفة في المدينة المنورة، وتسمى (الشراج) ومنها انتقلت إلى توات[34]. وتوجد بتوات اليوم مئات الفقارات غير أن الكثير منها مهدد بالانقراض نتيجة لعدة عوامل طبيعية وبشرية لكن ما بقي منها يمكن ان يشكل رمزا ثقافي واقتصادي لتحريك عجلة التنمية في المنطقة إذا ما تم استغلالها جيدا والمحافظة عليها.

ـ **الزوايا:** تشتهر منطقة توات بكثرة الزوايا وتذكر أغلب الروايات أن بداياتها كان على يد الشيخ مولاي سليمان بن علي الإدريسي (ت670 هـ/ 1271هـ)[35]، الذي قدم من فاس سنة 580هـ/1184م ونزل بتنيلان، ثم استقر بالقصر الذي يعرف باسمه (أولاد أوشن)[36] سنة (595 هـ / 1199م)، حيث أسس زاويته التي أصبحت مقصدا للطلبة من كل مكان وملجأ للفقراء وعابري السبيل. ومنذ ذلك الوقت، بدأت الزوايا تظهر هنا وهناك، مثل: زاوية الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي بقصر بوعلي، والزاوية الكنتية التي أسسها الشيخ أحمد بن محمد الرقاد الكنتي سنة 999هـ/1590م، وزاوية سيدي عمر بن صالح بأوقروت التي تم تشييدها على يد مؤسسها الشيخ سيدي عمر بن محمد بن الصالح المتوفى سنة 1008هـ/1599م، وزاوية تنيلان التي أسسها الشيخ أحمد بن يوسف الونقالي سنة 1058هـ/1648م[37]، والزاوية البكرية التي تأسست سنة 1117هـ/1705م على يد الشيخ البكري بن عبد لكريم[38]، وزاوية الشيخ محمد بن الكبير التي تأسست سنة

---

(34) محمد باي بلعالم: المرجع السابق، ج1، ص71.

(35) عبد الحميد بكري: **النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9 إلى القرن 14 هـ**، ط1، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 2005م، ص ص 74، 75.

(36) (وشن) كنيته. وهي كلمة بربرية تعني الذئب.

(37) محمد عبد القادر بن عمر التنيلاني: **الدرة الفاخرة في ذكر ما بتوات من العلماء**. مخطوط، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر، ورقة 02 و وما بعدها.

(38) محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي: درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، خزانة كوسام، ادرار، الجزائر، ورقة 44 وما بعدها.

1370هـ/ 1950م بأدرار[39]...وغيرها. تحولت هذ الزوايا في المنطقة إلى مراكز إشعاع فكري وحضاري، وساهمت في نشر تعاليم الإسلام واللغة العربية، وفي بناء المجتمع التواتي وفق القيم الإسلامية. كما ساهمت في المقاومة الثقافية والشعبية إبان الاستعمار الفرنسي ومن أهم الأنشطة التي تقوم بها التعليم، حيث جاء في تقرير لمديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية أدرار لسنة 1427هـ/ 2006م أن هناك حوالي 23 زاوية كانت تضم: أربعة عشر وستمائة وثلاثة آلاف (3614) طالب داخلي. أما مجموع الطلبة في الزوايا والمدارس القرآنية الخمسمائة والثمانية (508) الموجودة فيقدر بـ: ستة وستين ألف وسبعمائة واثنين (66702)[40]. وإلى جانب الدور التربوي والتعليمي للزوايا، مارست أدوارا أخرى في مختلف المجالات منها: استقبال الضيوف وعابري السبيل، وإصلاح ذات البين.

. المخطوطات: تعد توات من أغنى المناطق بالمخطوطات وتشير بعض الإحصاءات أنه كان بها في 1962م أزيد من اربعين ألف مخطوط، وتضم توات حاليا عديد الخزائن قدرها البعض بأزيد من سبعين خزانة[41]، موزعة على مختلف قصور الولاية وبها مخطوطات في أغراض مختلفة قدر عددها البعض بحوالي 27 ألف مخطوط[42] ومن أشهر الخزائن:

1 . خزانة كوسام: تأسست سنة 1278هـ الموافق لـ 1860م على يد الشيخ عبد الله بن أحمد الحبيب بن محمد بن عبد الله بن براهيم البلبالي، تضم أزيد من 300 مخطوط، ويشرف عليها حاليا الشيخ طيب شاري.

---

(39) مولاي التهامي غيتاوي: **الإشراق الكبير في ذكر جملة من فضائل ومآثر ومواقف وكرامات الشيخ سيدي محمد بالكبير**، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2002، ص 09 وما بعدها.

(40) ع طاهري: **الزوايا والمدارس القرآنية بولاية أدرار مع عدد الطلاب وشيوخها**، [على الخط]، محاضرات ومواضيع إسلامية، القسم الإسلامي، منتدى شباب تنركوك، متاح على<<http://tinerkouk.banouta.net/t1883-topic>> تاريخ الاطلاع (2012/02/10).

(41) ينظر: أحمد جعفري: **الحركة الأدبية في منطقة توات خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين**، رسالة دكتوراه في الأدب، إشراف الدكتور محمد زمري، جامعة تلمسان، 2007/2006م ص 340 وما بعدها.

(42) نفسه، ص 17.

2 . الخزانة البكرية بتمنطيط: مؤسسها الشيخ ميمون بن عمر خلال القرن التاسع الهجري، ويعد الشيخ البكري بن عبد الكريم المؤسس الثاني لها، بلغ عدد مخطوطاتها في عهده ثلاث آلاف مخطوط[43]، تم تقسيمها بين أفراد العائلة البكرية سنة 1244هـ/1828م، من فروعها اليوم: خزانة نومناس، خزانة تمنطيط، خزانة زاوية سيد البكري.

3 . خزانة المطارفة: تأسست في نهاية القرن العاشر أو بداية القرن الحادي عشر الهجريين على يد الشيخ محمد العالم بن عبد الكبير الذي سميت الخزانة باسمه، تولى أحفاده من بعده تسيرها، تضم حاليا حوالي خمسمائة مخطوط.

4 . خزانة مولاي سليمان بن علي بأدغاغ: مؤسسها أحمد بن علي بن سليمان بن علي، من أحفاد الشيخ مولاي سليمان بن علي، المشرف عليها حاليا الأستاذ علي سليماني، والذي تولى أمرها بعد وفاة والده محمد بن أحمد الحبيب بن محمد الصافي، تضم الخزانة أزيد من مائتين وخمسين مخطوطا في فنون شتى[44].

5 . خزانة الركب النبوي بأقبلي: مؤسسها الشيخ أبو نعامة شيخ ركب الحج لبلاد السودان وتوات[45].

6 . خزانة ملوكة: مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمان البلبالي، تقع بقصر ملوكة التابع لبلدية تيمي ولاية أدرار، يشرف عليها حاليا مركز البلباليين للمخطوطات والبحث التاريخي، يوجد بها أزيد من ثلاثمائة مخطوط[46].

7 . خزانة الطالب محمد بن الطيب بن أمحمد العزاوي بقصر غرميانو: مؤسسها هو الشيخ محمد بن الطيب العزاوي، تضم الخزانة اليوم أزيد من خمسين مخطوطا في أغراض مختلفة[47].

---

(43) عبد الحميد بكري: المرجع السابق، ص 49.

(44) حليمة سليماني: **قصر ادغاغ بإقليم توات دراسة اجتماعية وثقافية من القرن 12هـ/18م إلى النصف الثاني من القرن 14هـ/20م**، مذكرة مقدمة لنيل الماجستير في التاريخ، إشراف الدكتور بوصفصاف عبد الكريم، قسم العلوم الإنسانية، جامعة ادرار، الجزائر، 2015 ـ 2016، ص ص 268 ـ 269.

(45) عبد المجيد قدي: **صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة**، بدون دار نشر، 2006، ص 197 وما بعدها.

(46) زيارة ميدانية لمركز البلباليين للمخطوطات والبحث التاريخي بقصر ملوكة، يوم 2018/12/16.

. أهمية التراث في التنمية المحلية: يعد التراث عامل مهم بل ومحوري في التنمية ولابد من أي تنمية تستهدف هذه المناطق أن تأخذ في الحسبان هذه المسالة، خاصة وأن منطقة توات تجمع بين التراث المادي واللامادي، وتقوم فلسفة منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) على المحافظة على هذا التراث، والاستثمار فيه بوصفه أحد آليات التنمية المستدامة[48]، وتسعى كثير من دول العالم اليوم إلى إعادة الاعتبار للشأن الثقافي، باعتباره مدخلا أساسي لتحقيق التنمية المستدامة، وإشاعة قيم العدالة والمساواة والتنوع، وترسيخ المحبة والأمن والاستقرار والتسامح والتعايش بين الشعوب، في مواجهة العنف وكل أشكال التطرف والصراعات المدمرة، واعتبار الثقافة عاملاً محركًا للإبداع والتنمية الاقتصادية وخلق الثروة[49]. كما أن الرهان في المستقبل هو تشجيع الإنتاج الثقافي كون القرن المقبل سيكون قرننا ثقافيا بامتياز، بعيدا عن القرن العشرين الذين كان عسكريا وسياسيا بامتياز، والقرن الواحد والعشرين الذي هو قرن اقتصادي، فالذي يملك ناصية الثقافة هو الذي بإمكانه السيطرة والتغلب، كما أن عدم الاهتمام بالتراث معناه ثروات تتعرض للتدمير والنهب والضياع، وهو أخطر من إهدار الثروات الطبيعية، كما أن الاهتمام بالتراث يسهم من دون شك في ربط اللحمة الوطنية وترسيخ الهوية والحفاظ على الاستقلال بمفهومه الواسع، كونه مصدر إلهام وفخر واعتزاز، في ظل العولمة التي أصبحت تهدد الكثير من الكيانات.

---

(47) الشيخ أحمد بن العربي بن أحمد: إمام وقيم الخزانة، مقابلة بمسكنه بقصر غرميانو بلدية تامست ولاية أدرار الجزائر، بتاريخ 2016/02/17.

(48) الحفاظ على التراث العالمي قاطرة التنمية المستدامة: أخبار الأمم المتحدة [على الخط]، الموقع الرسمي للأمم المتحدة، متاح على: https://news.un.org/ar/audio/2018/01/376222، تاريخ التحميل (2019/07/10، 19:30)

(49) عبد الرزاق التجاني: **راهنية التراث في عالمنا المعاصر [على الخط]**، جريدة الشرق الأوسط، عدد 10 نوفمبر 2006، متاح على https://aawsat.com/home/article/781471، تاريخ التحميل: (2019/7/2، 15:22)

. عرض نماذج ومقترحات لدمج التراث في فضاءات التنمية: هناك الكثير من المقترحات والأفكار التي يمكن استغلالها لدمج التراث المحلي في التنمية وإيجاد الحلول للكثير من المشاكل الأنية ومن بين الحلول المقترحة:

. تنظيم مهرجانات ومواسم وأعياد محلية احتفاء بالتراث الوطني المصنف عالميا وحتى غير المصنف وتكون كل منطقة في توات أو كل دائرة تختص بموسم من المواسم أو مهرجان من المهرجانات أو عيد من الأعياد، مثل: موسم أهليل، وموسم السبوع بقورارة، مهرجان قرقابو ببلدية تامست، مهرجان للشلالي بمنطقة عين بلبال، مهرجان للفروسية ببلدية تيمي، مهرجان للزمار ببوعلي زاوية كنته، موسم البارود بزاوية كنته، مهرجان للحضرة ببلدية أنجزمير، عيد للتمور ببلدية طلمين...إلخ، وبودي هنا أن أشير إلى تجربتين، الأولى هي تجربة مهرجان أهليل الذي هو في طبعته الثانية عشر، ومهرجان قرقابو وهو في طبعته الثانية، وينظم من طرف جمعية سيدي بلال الثقافية بقصر تيطاف بلدية تامست بالتعاون مع بلدية تامست ومديرية الثقافة ومديرية الشباب والرياضة لولاية أدرار وقسم العلوم الإنسانية جامعة أحمد دراية.

يتخلل هذه المواسم مهرجانات وأسواق سنوية وأنشطة دينية وثقافية، ومسابقات وجوائز قيمة لتشجيع التنافس بين الفرق المشاركة، والمنتجين، من أجل تشجيع الشباب على الانخراط في هذه الأنشطة، مثلا في موسم البارود هناك جائزة لأفضل فرقة بارود، جائزة لأفضل صيغة ومرجوعة، جائزة لأفضل راقص بارود ...وهكذا بالنسبة لباقي الرقصات والفنون، وبذلك نعمل على تنشيط السياحة الداخلية والتي يجب المراهنة عليها أكثر من السياحة الخارجية لأن الأخيرة معقدة وتحتاج إلى استثمارات ضخمة ويمكن التعويل عليها في المستقبل عكس السائح المحلى الذي يعد بسيط في متطلباته وأقل تكلفة من حيث الإجراءات والخطورة الأمنية، وبذلك نعمل على تنشيط الحياة الاقتصادية وتوفير فرص العمل للشباب وتكون فرصة لبيع المنتجات المحلية خاصة المنتجات الفلاحية، والصناعات التقليدية، وتكون المدة الزمنية لهذه المهرجانات والمواسم من ثلاثة أيام إلى أسبوع. خلال الفترة من شهر

نوفمبر إلى شهر أبريل من كل سنة، لأنها الفترة المفضلة من حيث الظروف المناخية للمنطقة، ومن دون شك ستعمل هذه المواسم والمهرجانات على استقطاب آلاف السياح من داخل الوطن وحتى من الخارج، وستسهم في المحافظة على هذا التراث والتعريف به داخليا وخارجيا كما أنها تمثل فضاء للعائلات في المنطقة والوطن ووجهة سياحية ستجعل من المواطن يصرف نظره عن السياحة الخارجية وبالتالي المحافظة على العملة الأجنبية ويمكن في هذا المجال الاستفادة من تجارب الكثير من الدول مثل موسم طانطان في المغرب...وغيرها.

. بالنسبة للزيارات والتي أصبحت اليوم تعرف ديناميكية وحيوية متزايدة يمكن الاستثمار فيها وتطويرها هي أيضا وتحويلها إلى مواسم مصغرة تتخللها أنشطة اقتصادية وثقافية، ويمكن إنشاء جهاز أو ديوان محلي مشترك بين عدة قطاعات كالسياحة والثقافة والتجارة والشؤون الدينية لتنظيمها وتطويرها لأنها عشوائية وغير منظمة ويمكن دمجها في المخطط المحلي للتنمية وتصنفيها بين الدينية والثقافية والاقتصادية.

. بالنسبة للقصور: والتي على كثرتها في توات غير مستغلة وهي قصور ميته، غير مأهولة بالسكان، وأفضل طريقة للحفاظ عليها هي تحويلها إلى قصور حية تنبض بالحياة ومأهولة بالسكان مثل قصور وادي مزاب، من خلال ترميمها ومدها بكل سبل الحياة من ماء وكهرباء وصرف صحي ومرافق ضرورية، وبذلك نكون قد حافظنا عليها وعلى طابعها المعماري، ونكون من دون شك قد أسهمنا في التنمية المحلية من خلال إيجاد حلول لأزمة السكن الخانقة، وتشجيع المنتوج المحلي في البناء، وتوفير فرص عمل، وستكون من دون شك وجهة سياحية، لأن هذا القصور تمثل الهوية العمرانية للمنطقة كما أنها ستكون صديقة للبيئة وأقل استهلكا للطاقة بفعل سمك جدرانها، وأزقتها الضيقة.

. بالنسبة للفقارة: كلنا يعلم أن الفقارة عامل مهم للاستقرار بالمنطقة كما أنها تمثل كنز اقتصادي بالنسبة لتوات وبالتالي لابد من المحافظة عليها، لأنها ليست مجرد نظام سقي صديق للبيئة فقط بل هي نظام اجتماعي واقتصادي وبيئي متكامل، ويكون

المحافظة عليها عن طريق استعمال وسائل التكنولوجيا الحديثة في الحفر، منع حفر الآبار الارتوازية بالقرب من الفقارة، منحها الأولوية كنظام للسقي في الاستثمار الفلاحي، مثلا لا تقبل الا الملفات التي تقدم نظام السقي بالفقارة، او منح نسبة من الدعم أكبر للمستثمرين الفلاحيين الذين يقدمون الفقارة كنظام للسقي، أو شراء المنتوج على الفلاحين الذين يثبتون السقي بالفقارة بأسعار تفاضلية، كما يجب المحافظة على كل ما يرتبط بتراث كيال الماء ووضع محافظة سامية له والقيام بدورات تدريبية للشباب في هذا النظام ومنح شهادات معترف بها في (كيالة الماء) وحتى وظائف قارة في مديرية الموارد المائية.

. بالنسبة للزوايا فهي الأخرى لا بد من دعمها لأنها تسهم مساهمة كبيرة في التربية والتعليم وهي تمتص عدد كبير من التلاميذ الذين لم يسعفهم الحظ من مواصلة تعليمهم كما أنها إلى جانب أضرحة الأولياء والصالحين تعد عامل جذب سياحي خاصة السياحة الدينية والطلبة القادمين من مختلف ولايات الوطن ويمكن تخصص مواسم ترتبط بمناسبات دينية كختم البخاري، ووفاة الشيخ سيدي محمد بالكبير، والمولد النبوي الشريف.

. بالنسبة للمخطوطات والخزائن: هي الأخرى لا بد من استغلالها أحسن استغلال ويجب أن تفتح ابوابها أمام الطلبة والباحثين من أجل تشجيع السياحة العلمية ويكون ذلك من خلال التوعية وإعادة ترميم الكثير منها وتوسعتها وتحويلها إلى مراكز وبودي هنا أن أشير إلى مركز البلبالين للمخطوطات بقصر ملوكة قام بتجربة رائدة في هذا المجال.

الخاتمة: وفي ختام هذا البحث خرجنا بمجموعة من النتائج لعل من بينها:

. تعد منطقة توات بالجنوب الغربي الجزائري من أكثر المناطق غنى بالتراث سواء كام مادي أو لامادي. وهناك عدة أسباب وراء ذلك منها موقعها الاستراتيجي الذي تواسط الصحراء وطرق القوافل، وعمارتها الضاربة في اعماق التاريخ، وتنوعها السكاني والحضاري.

. تتوفر توات على تراث لا مادي غني ومتنوع وقد تم تصنيف ثلاثة منه كتراث لا مادي إنساني وهي أهليل قورارة، وسبوع تيميمون، وكيال الماء وهناك تراث آخر مصنف كتراث وطني أو محلي وتسعى الجزائر لتصنيفه دوليا مثل رقصة قرقابو، الحضرة، الزيارات، رقصة البارود، رقصة الطبل.

. إلى جانب التراث اللامادي هناك تراث مادي متنوع تسعى الجزائر لتصنيفه مثل: القصور، الفقارة، المخطوطات، الزوايا.

. يعد التراث سواء كان مادي أو لامادي عامل مهم ومحوري في التنمية وهذا ما تقوم عليه فلسفة منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) من خلال المحافظة على هذا التراث، والاستثمار فيه بوصفه أحد آليات التنمية المستدامة.

. هناك الكثير من المقترحات والأفكار التي يمكن استغلالها لدمج التراث المحلي في التنمية وإيجاد الحلول للكثير من المشاكل الأنية ومن بينها:

. تنظيم مهرجانات ومواسم وأعياد محلية احتفاء بالتراث الوطني المصنف عالميا وحتى غير المصنف وتكون كل منطقة في توات أو كل دائرة تختص بموسم من المواسم أو مهرجان من المهرجانات أو عيد من الأعياد، مثل موسم أهليل، موسم السبوع بقورارة، مهرجان قرقابو ببلدية تامست، مهرجان للشلالي بمنطقة عين بلبال.

. على القائمين على التنمية في توات تحويل القصور الميته إلى قصور حية تنبض بالحياة لأنها أفضل طريقة للحفاظ عليها مع المحافظة على نفس النسق العمراني ومواد البناء.

. لابد من المحافظة على الفقارة ليس بوصفها تراث، بل عامل أساسي من عوامل التنمية المستدامة.

. تعد الزوايا والمدارس القرآنية إحدى سمات ومميزات المنطقة ولا بد من دعمها والمحافظة عليها لنها تمثل المرجعية الدينية والحضارية وعامل من عوامل الاستقرار.

. بالنسبة للمخطوطات والخزائن هي الأخرى لا بد من استغلالها أحسن استغلال من أجل تشجيع السياحة العلمية ويكون ذلك من خلال ترميمها وتوسعتها.

وفي الخير أتمنى أني أكون أسهمت في فعاليات هذا الملتقى مع تمنياتي لأشغاله بالنجاح وشكرا.

. قائمة المصادر والمراجع:

. أقبلي أحمد بن العربي: إمام وقيم الخزانة، مقابلة بمسكنه بقصر غرميانو بلدية تامست ولاية أدرار الجزائر، بتاريخ 2016/02/17.

. أهاليل القورارة، التراث الثقافي غير المادي [على الخط]، الموقع الرسمي لليونسكو، متاح على https://ich.unesco.org/ar/RL/-00121، تاريخ التحميل (2019/07/02، 18:20)

. بكري عبد الحميد: النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9 إلى القرن 14 هـ، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 2005م.

. بلعالم محمد باي: الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، جزآن ، دار هومه، الجزائر، 2005م.

- بلمبير خديجة: دور التراث اللامادي في الحفاظ على الهوية أهليل نموذجا دراسة سوسيوأنثروبولوجية بمنطقة قورارة بتيميمون أدرار، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأنثروبولوجيا، إشراف الدكتور لعلى بوكميش، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة أدرار، 2016 . 2017.

- بليل رشيد: قصور قورارة واولياءها في الماثور الشفهي والمناقب والاخبار المحلية، ترجمة رشيد عبد الحميد بورايو، منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ، الجزائر ، العدد3، 2008.

- التجاني عبد الرزاق: راهنية التراث في عالمنا المعاصر [على الخط]، جريدة الشرق الأوسط، عدد 10 نوفمبر 2006، متاح على https://aawsat.com/home/article/781471، تاريخ التحميل: 2019/7/2، 15:22)

- تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من القصور، المطبعة الملكية، الرباط،المغرب،1962 م.

- التمنطيطي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق: درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، خزانة كوسام، ادرار، الجزائر.

- التنيلاني محمد عبد القادر بن عمر: الدرة الفاخرة في ذكر ما بتوات من العلماء. مخطوط، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.

- جعفري أحمد: الحركة الأدبية في منطقة توات خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، رسالة دكتوراه في الأدب، إشراف الدكتور محمد زمري، جامعة تلمسان، 2007/2006م.

- جعفري أحمد: الفَقَّارَة ... نظام السقي الصحراوي العجيب، مجلة "تراث " تصدر عن هيئة أبو ظبي للثقافة والإعلام، .مدينة العين الإمارات العربية، السنة الحادية عشرة، العدد 131 أغسطس 2010.

- جعفري عزالدين: الحضرة الصوفية بمنطقة توات دراسة في طقوسها ونصوصها المصاحبة لها، مذكرة ماجيستير، اشراف شعيب مقنونيف، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان،2015/2014.

- بن الحاج علي حمزة: التراث الثقافي لمنطقة تيديكلت دراسة تاريخية اثرية، مذكرة ماجيستير، اشراف محمد المصطفى فلاح، معهد الاثار، جامعة الجزائر 2، 2012/2011.

- الحفاظ على التراث العالمي قاطرة التنمية المستدامة: أخبار الأمم المتحدة [على الخط]، الموقع الرسمي للأمم المتحدة، متاح على https://news.un.org/ar/audio/2018/01/376222، تاريخ التحميل (19:30 ،2019/07/10).

- حمادو نور الدين: رقصة قرقابو بمنطقة توات دراسة في تاريخ الرقصة والطقوس المصاحبة لها، مداخلة باليوم الدراسي، الموسوم "التراث ودوره في خدمة التنمية"، والمنظم من طرف جمعية سيدي بلال الثقافية بقصر تيطاف بلدية تامست، بالتعاون مع بلدية تامست ومديرية الثقافة ومديرية الشباب والرياضة لولاية أدرار وقسم العلوم الإنسانية جامعة أحمد دراية . أدرار، الجمعة 27 إبريل 2018.

- حوتيه محمد الصالح: توات والأزواد، جزآن، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م.

- بن خالد عبد الكريم: برنامج منظمة اليونسكو في تصنيف وصون التراث الثقافي الغير مادي تجربة تصنيف تمثيلة اسبوع المولد البنيوي الشريف بمنطقة تيميمون كتراث عالمي غير مادي نموذجا، مقال غير مطبوع.

- بن خالد عبد الكريم: الرمزية الروحية والاجتماعية والتاريخية للاحتفال بالمولد النبوي الشريف (السبوع) بمنطقة تيميمون، ندوة اسبوع المولد النبوي الشريف، مديرة الثقافة ومخبر المخطوطات الجزائرية بأفريقيا، أدرار، 2017.

ـ ابن خلدون عبد الرحمان: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، 08 أجزاء، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان،2001م.

ـ الخوارزمي ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على: المغرب في ترتيب المعرب، دار الكتاب العربي، دمشق، د س ن.

ديوان الأهليل نشيد قورارة الأزلي، محافظة المهرجان الثقافي الوطني لأهليل، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2017.

ـ سرقمة عاشور: الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.

ـ سليماني حليمة: قصر ادغاغ بإقليم توات دراسة اجتماعية وثقافية من القرن 12هـ/18م إلى النصف الثاني من القرن 14هـ/20م، مذكرة مقدمة لنيل الماجستير في التاريخ، إشراف الدكتور بوصفصاف عبد الكريم، قسم العلوم الإنسانية، جامعة ادرار، الجزائر، 2015 ـ 2016.

ـ سماعيلي مولاي عبد الله: لمحة عن نشأة الفقارة وتطورها بتوات، مجلة النخلة، مجلة علمية متنوعة يصدرها مجموعة القروط، ادرار، الجزائر، العدد التجريبي، جويلية 2005.

ـ طاهري ع: الزوايا والمدارس القرآنية بولاية أدرار مع عدد الطلاب وشيوخها، [على الخط]، محاضرات ومواضيع إسلامية، القسم الإسلامي، منتدى شباب تنركوك، متاح على<<http://tinerkouk.banouta.net/t1883-topic>> تاريخ الاطلاع (2012/02/10).

ـ العسكري الحسن بن عبد الله أبو هلال بن سهل بن سعيد: التَّلخِيص في مَعرفَةِ أسمَاءِ الأشياء، تحقيق عزة حسن، ط2، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1996م.

- قاسي محمد عبد الرحمن: المظاهر الاحتفالية لأسبوع المولد النبوي الشريف بمنطقة قورارة، مجلة الحقيقة ، العدد 10، 2012، جامعة ادرار.

- قدي عبد المجيد: صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة، دون دار نشر، 2006.

- موساوي عربية: الفقارة بمنطقة توات وأثرها في حياة المجتمع دراسة تاريخية اثرية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علم الآثار، إعداد الدكتور عبد العزيز لعرج، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007، ص 132.

- الطاهري الإدريسي مولاي احمد: نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط، خزانة كوسام، ادرار، الجزائر.

- مولاي التهامي غيتاوي: الإشراق الكبير في ذكر جملة من فضائل ومآثر ومواقف وكرامات الشيخ سيدي محمد بالكبير، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2002.

- Abderrahmane Selka: Notice Sur le Touat – Bul – SO – G – D' Alger, Alger,1922.

- Déporter: La Question, du Touat au Sahara Algérien, Alger, Fontana, 1891.